مكتبة البحث
قسم الدوريات

غير مصرح بإعارتها من المكتبة

# حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

العدد الثالث

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

# دور الإسلام
## في تطور الفكر الفلسفي

**للأستاذ الدكتور / محمود حمدي زقزوق**

**وكيل كلية الشريعة والدراسات الإسلامية**

أولا : موقف الاسلام من ا لعقل

١ ـ تمهيد

٢ ـ الإنسان في نظر الاسلام

٣ ـ العقل ووظيفته

٤ ـ تمهيد الطريق أمام العقل

ثانيا : دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي :

١ ـ الجانب الفكري :

أ ـ نظرة عامة

ب ـ مبدأ الاجتهاد

ج ـ فكرة التوفيق أو الوسطية

د ـ نظرة الإسلام إلى التاريخ

٢ ـ الجانب التاريخي :

أ ـ التأثير الأسلامي في فلسفة العصور الوسطى

ب ـ التأثير الاسلامي في فلسفة العصر الحديث

كلمة ختامية .

الحديث عن دور الاسلام في تطور الفكر لا بد من التمهيد له بعرض موقف الاسلام من العقل، إذ أن هذا الموقف هو الذي يستطيع أن يتيح لنا التعرف على مدى إمكانية إسهام الاسلام في تطور الفكر بصفة عامة والفكر الفلسفي بصفة خاصة. وعلى هذا سينقسم بحثنا الى قسمين اولهما عن موقف الاسلام من العقل وثانيهما عن دور الاسلام في تطور الفكر.

## أولا: موقف الاسلام من العقل:

### ١ ـ تمهيد:

لم يكن للعرب قبل الاسلام ما يمكن ان يطلق عليه المرء فكرا فلسفيا، فقد كانت لهم نظرات فلسفية متناثرة فيما خلفوه لنا من نثر وشعر، ولكنها كانت من فلتات الطبع وخطرات الفكر كما يقول الشهرستاني (١) (٤٧٩ ـ ٥٤٨ هـ) فلم يكن لديهم اهتمام بالتعليل او محاربة التقليد والخرافات أو البحث عن العلاقة بين المقدمات والنتائج فيما كان منتشرا لديهم من آراء وأقاصيص، «لقد كانت لديهم معارف فلكية وطبيعية متصلة

(١) الملل والنحل جـ ٢ ص ٦٠ دار المعرفة بيروت ١٩٨٢. راجع أيضا طبقات الأمم للقاضي أبي القاسم (صاعد بن أحمد) الذي يقول في معرض كلامه عن علم العرب في الجاهلية (ص ٤٥ طبعة بيروت): «وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله عز وجل شيئا منه، ولا هيأ طباعهم للعناية به)). انظر المزيد من التفصيل عن ذلك في: تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية للشيخ مصطفى عبدالرزاق ص ٣١ وما بعدها (مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦).

بمعارف الكلدانيين والصابئة، ومعارف طبية تجريبية مصحوبة بالرقى والعزائم والتمائم، وأساطير زاخرة بأخبار الجن والسعالى والغيلان والشياطين، وأمثال وحكم تدل على منازعهم العقلية، وشعر في الزهد تغلب عليه العناصر الخلقية والروحية، ولكن ذلك كله لا يؤلف مذاهب فلسفية كاملة، لان التفكير الفلسفي لم يبدأ عندهم الا بعد ظهور الاسلام)) (٢)

فقد بعث الاسلام فيهم حياة جديدة. ونقلهم إلى أفق فسيح من العلم والمعرفة فاقاموا صرح دولة عظمى تمتد من اقصى الصين شرقا الى اقصى الاندلس غربا، وانشأوا حضارة زاهرة كانت من اطول الحضارات عمرا في التاريخ، وفي هذا الجو ازدهرت العلوم والمعارف على اختلاف انواعها، واسهم المسلمون في الجهود الفلسفية واصبحت لهم فلسفة تحمل طابعهم وتميزهم عن غيرهم، ولم يكن ذلك كله يمكن ان يحدث الا اذا كانت تعاليم الاسلام تشتمل على العناصر الاساسية لهذا التحول العظيم.

## ٢ ـ الانسان فى نظر الاسلام:

لقد كان حجر الاساس في هذا البناء الجديد يتمثل في نظرة الاسلام الى الانسان. فالاسلام ينظر الى الانسان على أنه خليفة الله في الارض مصداقا لقوله تعالى: **«إني جاعل في الارض خليفة»** ـ البقرة ٣٠ ـ وقد فضله الله على جميع الكائنات وكرمه اعظم تكريم كما تعبر عن ذلك آيات القرآن مثل قوله تعالى: **«ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»**. ـ الاسراء ٧٠ ـ وهذه الكرامة التي اختص الله بها الانسان ذات أبعاد مختلفة. فهي حماية إلهية للانسان تنطوى على احترام حريته وعقله وفكره وإرادته، وتنطوي أيضا على حقه في الامن على نفسه وماله وذريته (٣) وهذه الكرامة تعني في النهاية الحرية الحقيقية وهي تلك الحرية الواعية المسؤولة التي تدرك اهمية تحملها امانة التكليف والمسؤولية التي اشار اليها القرآن في قوله **«إنا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان)** (٤).

---

(٢) تاريخ الفلسفة العربية للدكتور جميل صليبا ص ١٥/ ١٦ دار الكتاب اللبناني ١٩٧٣ راجع أيضا: دروس في تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية لعبده الشمالي ص ٤/ ٥ بيروت ١٩٥٦.

(٣) راجع ايضا دراسات اسلامية للدكتور محمد عبدالله دراز ص ٣٣ وما بعدها. دار القلم بالكويت ١٩٨٠.

(٤) الأحزاب ٧٢.

واذا كان الله قد اختص الانسان بالتكليف والمسؤ ولية فانه من ناحية أخرى قد خلق له هذا الكون بما فيه ليمارس فيه نشاطاته المادية والروحية على السواء. ويشير القرآن الى ذلك في آيات عديدة منها قوله تعالى: (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٥).

والتفكر الذي تنص عليه الآية هنا امر جوهري لا ينبغي ان يغيب عن الاذهان، فانه اذا كان الله قد سخر للانسان هذا الكون فلا يجوز له ان يقف منه موقف اللامبالاة بل ينبغي عليه ان يتخذ لنفسه منه موقفا إيجابيا. وإيجابيته تتمثل في درسه والنظر فيه للاستفادة منه بما يعود على البشرية بالخير. والاستفادة من كل هذه المسخرات في هذا الكون لا تكون الا بالعلم والدراسة والفهم. والنظر في ملكوت السموات والارض على هذا النحو سيؤدي الى الرقى المادي، وفي الوقت نفسه الى الرقى الروحي (٦) يقول القرآن (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق**) (٧).

### ٣ ـ العقل ووظيفته:

ولم يبلغ الانسان كل هذا التكريم الذى سما به فوق كل الكائنات الا بالعقل الذي اختصه الله به وميزه على سائر المخلوقات، أوقد نوه الاسلام بالعقل والتعويل عليه في امور العقيدة والمسؤ ولية والتكليف، ولا تأتي الاشارة الى العقل في القرآن الكريم الا في مقام التعظيم والتنبيه الى وجوب العمل به والرجوع اليه وذلك ما يؤ خذ من كل الآيات القرآنية التي وردت الاشارة فيها الى العقل (٨). ولم يكن من قبيل المصادفة ان تكون

---

(٥) الجاثية ١٣.

(٦) راجع مقالنا (سبيلنا الأوحد للحضارة الحقيقية) المنشور بمجلة (المسلمون) الدولية بلندن. العدد ٢٢ (٢٦ مارس ١٩٨٢ ـ ١ جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ).

(٧) فصلت ٥٣.

(٨) العقل من حيث مدلوله اللفظي العام ملكة يناط بها الوازع الاخلاقي أو المنع عما هو محظور ومنكور. ومن هنا كان اشتقاقه من مادة عقل التي يؤخذ منها العقال. وفي ذلك يقول الجاحظ: «وانما سمي العقل عقلا لأنه يزم اللسان ويخطمه عن أن يمضي فرطا في سبيل الجهل والخطأ والمضرة كما يعقل البعير» وللعقل خصائص عديدة: منها انه ملكة الادراك التي يناط بها الفهم والتصور وادراك الأمور، ومنها أنه ملكة الحكم فهو يتأمل فيما يدركه ويقلبه على جميع وجوهه ويحكم عليه. ويتصل بملكة الحكم ملكة الحكمة أيضا، وذلك اذا انتهت حكمة الحكيم به الى العلم بما يحسن وما يقبح وما ينبغي له أن يطلبه وما ينبغي له أن يأباه، ومن خصائص العقل أيضا الرشد وهو تمام النضج: فالعقل الرشيد ينجو به الرشاد من الوقوع في مهاوي النقص والاختلال.
راجع: التفكير فريضة اسلامية للاستاذ عباس العقاد ص ٨ وما بعدها، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٦٩، وتجديد الفكر العربي للدكتور زكي نجيب محمود ص ٣١٠، دار الشروق بيروت ١٩٧١.

الاشارة الى العقل في القرآن في صيغ عديدة، فتارة بلفظ القلب او الفؤاد، وتارة ثانية في صيغة افعال بلفظ المفرد او بلفظ الجمع مثل: يعقلون ـ يفقهون ـ يتفكرون ـ ينظرون ـ يبصرون ـ يعتبرون ـ يتدبرون ـ يعلمون ـ يتذكرون ـ وتارة ثالثة في صيغة أولى الألباب أو أولى ألابصار أو أولى النهي. فقد أراد القرآن أن يعبر بذلك عن الوظائف العقلية التي أراد الله للعقل الانساني أن يمارسها في هذا الوجود. (٩)

والاسلام عندما يخاطب العقل فانه يخاطبه بكل ملكاته وخصائصه.. فهو يخاطب العقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الامور ويوازن بين الاضداد ويتأمل ويعتبر ويتعظ ويتدبر ويحسن التدبر والروية (١٠)

وقد وعى رجال الفكر الاسلامي القيمة الكبرى التي يسبغها الاسلام على العقل فقال عنه حجة الاسلام الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) إن العقل «انموذج من نور الله» (١١) وقال عنه الجاحظ (توفي عام ٢٥٥ هـ) إنه وكيل الله عند الانسان (١٢)

وإذا كانت وظيفة العقل على هذا النحو فإن محاولة تعطيله عن أداء هذه الوظيفة يعد تعطيلا للحكمة التى أرادها الله من خلق العقل، مثلما يعطل الانسان حاسة من الحواس التي انعم الله بها عليه عن أداء وظيفتها التي خلقت من أجلها. وهؤلاء الذين يفعلون ذلك يصفهم القرآن بأنهم أحط درجة من الحيوان حيث يقول: (**لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل**) (١٣) ومن هذا المنطلق يعتبر الاسلام عدم استخدام العقل خطيئة من الخطايا. يقول القرآن حكاية عن الكفار يوم القيامة (**وقالوا لوكنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم**) (١٤)

ولهذا كانت دعوة القرآن للانسان لاستخدام ملكاته الفكرية دعوة صريحة لا تقبل التأويل. وهكذا يجعل الاسلام التفكير واجبا مقررا وفريضة إسلامية. ومن هنا قرر ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) ان الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها، وذلك أخذا من آيات القرآن العديدة في هذا الشأن (١٥)

---

(٩) وردت مادة عقل وما اشتق منها في القرآن تسعة وأربعين مرة، ووردت مادة فقه وما اشتق منها عشرين مرة، ومادة فكر وما اشتق منها ثماني عشرة مرة، وورد تعبير أولى الالباب ست عشرة مرة. هذا بالاضافة الى عشرات المرات التي وردت فيها بقية الألفاظ التي تعبر عن وظائف العقل المختلفة.

(١٠) التفكير فريضة اسلامية ص ٢٠

(١١) مشكاة الانوار للامام الغزالي ص ٤٤. القاهرة ١٩٦٤.

(١٢) نقلا عن: تجديد الفكر العربي ص ٣١٠.

(١٣) الأعراف ١٧٩.

(١٤) الملك ١٠.

(١٥) فصل المقال لابن رشد ص ١٠ (مطبوع مع الكشف عن مناهج الادلة تحت عنوان فلسفة ابن رشد ـ المكتبة المحمودية التجارية بالأزهر ١٩٦٨).

وإذا كانت ممارسة الوظائف العقلية تعد واجبا دينيا في الاسلام فانها من ناحية أخرى مسؤ ولية حتمية لا يستطيع الانسان الفكاك منها، وسيحاسب على مدى حسن أو إساءة استخدامه لها مثلما يسأل عن استخدامه لباقي وسائل الادراك الحسية. وفي ذلك يقول القرآن (**إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا**) (١٦)

**٤ ـ تمهيد الطريق أمام العقل:**

ومن منطلق حرص الاسلام على ممارسة العقل لوظائفه التي أرادها الله كان حرص الاسلام شديدا على إزالة كافة العوائق التي تعوق العقل عن ممارسة نشاطاته.

ولهذا طالب الاسلام بتحطيم هذه العوائق ليشق العقل طريقه للفهم الصحيح والتفكير السليم ويتجلى لنا ذلك واضحا من النقاط التالية:

أ ـ رفض التبعية الفكرية والتقليد الاعمى. فالاسلام عندما أمرنا بالنظر واستعمال العقل فيما بين أيدينا من ظواهر الكون نهانا في الوقت نفسه عن التقليد الذي فيه تعطيل للعقل عن أداء دوره في الوجود. فالتقليد ضلال يعذر فيه الحيوان، ولا يصح بحال من الاحوال من الإنسان القادر على التفكير والتمييز. ولهذا عاب القرآن على المشركين تقليدهم الاعمى لأعرافهم وتقاليدهم وأسلافهم مستنكرا مثل هذا التقليد. وفي ذلك يحكى عنهم قولهم (**حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا**) ويتساءل في استنكار: (**أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون**) (١٧) وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أيضا من التقليد الاعمى قائلا: (لا تكونوا إمّعة)(١٨) بمعنى لا تكونوا مقلدين للآخرين تقليدا أعمى.

ب ـ القضاء على الدجل والشعوذة والاعتقاد في الخرافات والأوهام وإبطال الكهانة، فلا كهانة في الاسلام وليس هناك مخلوق يتحكم باسم الدين في رقاب العباد، فلا ضر ولا نفع إلا بارادة الله الذي يقول لنا في القرآن إنه أقرب إلينا من حبل الوريد. وانه قريب يجيب دعوة من يدعوه. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله). (١٩) وعقائد الاسلام واضحة ليس فيها ما يتعارض مع مقررات العقل السليم. وقد وقف الرسول بحزم في وجه الخرافات والاوهام. وعندما مات ابنه ابراهيم تصادف أن كسفت الشمس في ذلك اليوم فقال البعض إن

---

(١٦) الاسراء ٣٦.

(١٧) المائدة ١٠٤.

(١٨) رواه الترمذي ونصه: (لا تكونوا إمعة: تقولون ان احسن الناس أحسنا، وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساءوا فلا تظلموا).

(١٩) رواه الترمذي والامام أحمد.

كسوف الشمس هو مشاركة في الحزن على موت ابراهيم. وقد واجه النبي ذلك بحسم قاطع قائلا: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد»(٢٠).

ج ـ تركيز الاسلام على المسؤ ولية الفردية. فكل فرد مسؤ ول عن أعماله مسؤ ولية تامة، وليس هناك خطيئة موروثة، وآيات القرآن في هذا الشأن واضحة صريحة. وهذه المسؤ ولية الفردية لا تقوم إلا على أساس حرية الفرد واطمئنانه الى حقوقه في الأمن على نفسه وعقله وماله. وقد جعل الاسلام الأمن على العقل من بين المقاصد الضرورية الاساسية التي قصدت اليها الشريعة الاسلامية لقيام مصالح الدين والدنيا. وهذه المقاصد الضرورية هي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال (٢١)

د ـ حرر الاسلام الفرد المؤمن بعقيدة التوحيد من الخوف المهين من السلطة الدنيوية ورفعه الى مقام العزة التي يقول القرآن فيها **«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين»**. (٢٢) ويقول الرسول أيضا (اطلبوا الحوائج بعزة الانفس) (٢٣) كما قرر الاسلام ألا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأن المؤمن لا يخشى في الحق لومة لائم.

وهكذا كفل الاسلام للانسان المناخ الحقيقي الذي يستطيع فيه أن يفكر ويتأمل ويعي ويفهم. وبهذا أطلق الاسلام سلطان العقل من كل ما كان يقيده، وخلصه من كل تقليد كان يستعبده، وبهذا تم للانسان بمقتضى دينه امران عظيمان طالما حرم منهما وهما استقلال الارادة واستقلال الرأي والفكر (٢٤). وقد كان لهذا الموقف الاساسي للاسلام من العقل أثره العظيم في صياغة الحضارة الاسلامية والعقلية الاسلامية.

وبعد هذا التمهيد الضروري عن موقف الاسلام من العقل يحق لنا الآن أن ننتقل إلى الحديث عن دور الاسلام في تطور الفكر بصفة عامة والفكر الفلسفي بصفة خاصة.

**ثانيا: دور الاسلام في تطور الفكر الفلسفي:**

وهذا الموضوع نريد ان نتناوله من ناحيتين: اولهما تتمثل في الاشارة الى بعض الافكار الهامة التي اشتملت عليها تعاليم الاسلام وكان لها اثرها ولا يزال في تطور الفكر، وثانيهما تتمثل في الاشارة الى انتقال الفكر الاسلامي الى اوروبا ومدى ما قام به هذا الفكر من تنشيط ودعم للنهضة الفكرية والحضارية في الغرب.

---

(٢٠) رواه البخاري ومسلم.
(٢١) انظر الموافقات للشاطبي جـ ٢ ص ١٠. دار المعرفة ـ بيروت.
(٢٢) المنافقون ٨.
(٢٣) رواه تمام في فوائده وابن عساكر في تاريخه. والحديث معناه صحيح وان تكلم علماء الحديث في سنده.
(٢٤) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ١٣٣ (دار احياء العلوم بيروت ١٩٧٩).

## ١ ـ الجانب الفكري:

### أ ـ نظرة عامة:

لقد اتضح لنا مما تقدم أن الاسلام قد قام بتوفير كافة الشروط الضرورية لقيام حركة فكرية في أوساط المسلمين. وقد قامت هذه الحركة الفكرية بالفعل، وازدهرت في كافة بلاد المسلمين وانتشرت بينهم كل ألوان الثقافات، وتفاعل الفكر الاسلامي مع هذه الثقافات المختلفة. ولم يرفض المسلمون ثقافة من الثقافات لمجرد الرفض، وإنما ساروا في ذلك على مبدأ قرآني يقول: **«فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض»** . «الرعد١٧» ـ وهذا يعني قبول كل ماهو إيجابي نافع ورفض كل ماهو سلبي لاخير فيه . وقد كانت كلمات الرسول عليه السلام «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» (٢٥) وقوله «الحكمة ضالة المؤمن» (٢٦) اي هي ذلك الشيء الذي ينشده المؤمن فاذا وجدها في اي مكان اخذها ـ كانت هذه الكلمات نبراسا يضيء للعقول طريقها نحو العلم والمعرفة بلا حدود. وقد رفع القرآن من شأن العلم والعلماء في آيات صريحة وأشادت أول كلمات نزلت من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم بالعلم، واعتبر القرآن العلماء أخشى الناس لله لأنهم الذين يدركون أسرار الله في خلقه ويعون روعة الكون وجمال الخلق وجلال الخالق. وجعل الاسلام مداد العلماء كدماء الشهداء.

ولم تكن الأسس التي وضعها الاسلام لتطوير الفكر والنهوض به مجرد أسس نظرية وإنما كانت خطوات عملية أثمرت ثمارها في المجتمع الاسلامي. فكانت دولة الاسلام أرحب الدول صدرا وأسمحها فكرا مع الفلسفة والفلاسفة، ومن أصيب من الفلاسفة المسلمين يوما بمكروه فانما كان ذلك من كيد السياسة، ولم يكن من حرج بالفلسفة أو حجر على الأفكار. فالاسلام بتعاليمه يستطيع أن يواجه أية ثقافة فكرية إنسانية دون أن يخشى عليه طالما وجد من المنتسبين اليه من يستطيع فهمه في اصوله وغايته (٢٧) ولم يحدث ان وقف الدين الاسلامي عقبة في سبيل البحث في العلوم الطبيعية على النحو الذي شهدته أوروبا في العصور الوسطى، بل كان الاسلام دائما وراء كل إنجاز حققه العلماء المسلمون في هذا المجال.

---

(٢٥) رواه ابن ماجه بلفظ (طلب العلم فريضة على كل مسلم) ومن الواضح ان لفظ المسلم هنا يعني الفرد المسلم رجلا كان أو امرأة.

(٢٦) رواه الترمذي وابن ماجه.

(٢٧) راجع: التفكير فريضة اسلامية ص ٥٩/ ٦٠ والفكر الاسلامي في تطوره للدكتور محمد البهي ص ١٠ مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٨١م.

وبالاضافة إلى ماتقدم نجد في القرآن شواهد لاحصر لها يتجلى لنا منها إطلاق القرآن للطاقات الفكرية إطلاقا لاحد له . ومن بين هذه الشواهد مايلي (٢٨) :

أولا : يعرض القرآن بكل أمانة ودقة آراء المخالفين ثم يتبعها بالرد الحاسم القائم على المنطق السليم وقوانين الفطرة السليمة. فقد ذكر وجهات نظر الوثنيين والدهريين والماديين والكفار والمنافقين، وعقب عليها تعقيبا مقنعا مستخدما في ذلك أنصع البراهين وأقوى الأدلة. فالكفار مثلا حين ينكرون البعث بعد الموت ويقولون: (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) يعقب القرآن على ذلك بقوله: (وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) ـ الجاثية ٢٤ ـ وهنا يفرق القرآن بين الظن والعلم، موجها نظرنا الى ضرورة فحص الاحكام والتأكد من مصدرها وفي ذلك ما فيه من الدعوة الى النقد الموضوعي.

ويحذر القرآن من إصدار الأحكام في امور لا علم للانسان بها حتى لا يقع في الخطأ والتناقض. فيقول **«ولا تقف ما ليس لك به علم»**. (٢٩) وعندما زعم الكفار أن الملائكة إناث عقب القرآن على زعمهم بقوله : **«أشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهادتهم ويسألون»** (٣٠) وهنا يريد القرآن أن يقول لهم: إن هذه الفكرة التي تزعمونها إذا كانت صحيحة فانها لا بد أن تكون مبنية على الملاحظة والمشاهدة اللتين هما وسيلتان من وسائل العلم والمعرفة الصحيحة.

ثانيا: يعرض علينا القرآن قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه والنقاش العقلي الذي دار بينه وبينهم حول أهمية الألوهية، وما اشتمل عليه هذا النقاش من ادلة عقلية في صورة متدرجة في تسلسل منطقي رائع تحمل العقل على محاكاتها للوصول إلى نفس نتائجها وهي الوصول الى اليقين الذي تشير اليه الآية في نهاية القصة **«وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين.»** (٣١)

وقد ازدانت الحضارة الاسلامية باعلام من ألمع المفكرين في المجال الفلسفي من امثال الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن باجه وابن طفيل وابن رشد. وقد شهد القرن التاسع والعاشر الميلاديين حركة عقلية نشيطة دائبة لدى المسلمين.

واذا كان المسلمون قد نقلوا الفلسفة اليونانية إلى العربية فانهم قد برهنوا على قدرتهم على هضمها والاضافة اليها ونقد ما فيها من قصور، مدركين أن الفكر الفلسفي فكر

---

(٢٨) انظر: تأملات في الفكر الاسلامي للدكتور محمد كمال جعفر ص ٨٧ وما بعدها ـ مكتبة دار العلوم بالقاهرة ١٩٨٠م.
(٢٩) الاسراء ٣٦.
(٣٠) الزخرف ١٩.
(٣١) الأنعام ٧٥.

متطور وليس فكرا جامدا، فالبناء الفلسفي كما يقول ابو بكر الرازي (٨٦٤ - ٩٢٥ م):

بناء تشترك فيه الاجيال، ويضيف اليه كل جيل شيئا جديدا (٣٢) يمهد به السبيل لمن يجيء بعده. فالكلمة الاخيرة في الفلسفة لم يقلها جيل بعينه وإلا أصيب الفكر بالجمود وحكم عليه بالعقم الأبدي.

وقد برع العقل الاسلامي في ميادين أخرى كثيرة. ويمكننا أن نشير في هذا الصدد إلى ابتكار المسلمين علم الجبر من عدم. وما يزال هذا العلم يحمل اسمه العربي في لغات الغرب، وأضاف المسملون الى الاعداد المعروفة في الغرب بالاعداد العربية - أضافوا اليها الصفر الذي أحدث ثورة حقيقية في علم الحساب، وكان احد علماء المسلمين في الرياضة وهو الخوارزمي (توفي حوالي ٨٤٧ م) هو الذي ابتدع اللوغارتم. (٣٣)

ولسنا هنا في مجال حصر إبداع العقل الاسلامي في دنيا العلوم على اختلاف انواعها، فهذا مجال يطول فيه الحصر، ولسنا هنا ايضا في معرض التغني بالامجاد أو اجترار الذكريات الجميلة، ولكننا نقرر فقط بعض الواقع الذي كان أثرا من آثار التعاليم الاسلامية التي هيأت للعقل الاسلامي هذه الانطلاقة الفذة التي انتقلت بعد ذلك الى اوروبا عن طريق الترجمات المختلفة التي بدأت في بواكير القرن الثاني عشر فاحدثت فيها يقظة جديدة شهد بها المؤرخون الاوروبيون المنصفون.

ونريد الآن أن نبرز بعض الافكار الهامة التي قدمها الاسلام وكانت ذات أثر حاسم في التطور الفكري والحضاري. وسنكتفي في هذا الصدد بثلاثة أمثلة وهي: مبدأ الاجتهاد او الاستقلال العقلي، وفكرة التوفيق او الوسطية، واخيرا النظرة الاسلامية للتاريخ. وفيما يلي نلقي بعض الضوء على هذه الافكار:-

### ب - مبدأ الاجتهاد:

لقد أكد الاسلام على فكرتي التوحيد وختم النبوة، ويعني ذلك رفع الوصاية عن العقل. فعلى العقل إذن بعد ان انتهت النبوة وانقطع الوحي السماوي أن يعتمد على نفسه في كل ما لم يرد فيه نص ديني، وعلى العقل أن يثق في قدراته. وقد كانت مناشدة القرآن للعقل وللتجربة على الدوام وإصراره على ان النظر في الكون والوقوف على اخبار

---

(٣٢) ونص عبارة الرازي في ذلك كما ورد في رسائله الفلسفية: «اعلم أن كل متأخر من الفلاسفة اذا صرف همته الى النظر في الفلسفة وواظب على ذلك واجتهد فيه وبحث عن الذي اختلفوا فيه لدقته وصعوبته عَلِم عِلْم من تقدمه منهم وحفظه واستدرك بفطنته وكثرة بحثه ونظره أشياء أخرى، لأنه مهر بعلم من تقدمه وفطن لفوائد أخرى واستفضلها اذ كان البحث والنظر والاجتهاد يوجب الزيادة والفضل». انظر مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي للدكتور فرانتز روزنتال ص ١٨٥ ترجمة أنيس فريحة - دار الثقافة بيروت ١٩٨٠.

(٣٣) راجع هموم المثقفين للدكتور زكي نجيب محمود ٩٠/ ٩١ دار الشروق - القاهرة - بيروت.

الاولين مصدر من مصادر المعرفة الانسانية ـ كانت كلها صورا مختلفة لفكرة انتهاء النبوة.

ومن هذا المنطلق كانت هناك خطوات عملية هامة قام بها الاسلام للمساعدة على تطوير الفكر وتحريكه لاستمرار التقدم وتطوير الحياة. ومن بين هذه الخطوات كان مبدأ الاجتهاد أي الاعتماد على الفكر في استنباط الأحكام الشرعية. وقد كان ذلك بداية النظر العقلي عند المسلمين. وقد نما هذا الاجتهاد في رعاية القرآن. ويعتبر الاجتهاد مبدأ الحركة أو الديناميكية في بناء الاسلام كما يقول إقبال (٣٤) (توفي عام ١٩٣٨).

لقد امتدت سماحة الاسلام إلى افساح المجال أمام العقل في مجال الاحكام الشرعية التي لم ترد فيها نصوص، فأباح له الاعتماد على نفسه وشجعه على ذلك ودفعه اليه دفعا. وتقررت في ذلك قاعدة إسلامية تقول: ان المجتهد اذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد واذا اجتهد فاصاب فله أجران. وقد روى عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه واليا الى اليمن قال له: كيف تقضي اذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال: فان لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فان لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: اجتهد رأيي. فوافقه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ومدحه على حسن إدراكه وفهمه. (٣٥)

وقد كان لمبدأ الاجتهاد أثره العظيم في إثراء الدراسات الفقهية لدى المسلمين وإيجاد الحلول السريعة للمسائل التي لم يكن لها نظير في العهد الاول للاسلام. وقد نشأت عنه مذاهب الفقه الاسلامي الاربعة المشهورة التي لا يزال العالم الاسلامي يسير على تعاليمها حتى اليوم، وأدى الاجتهاد ايضا الى ظهور علم فلسفي هو علم أصول الفقه الذي يعد بمثابة فلسفة للتشريع الاسلامي. وكان أول من ابتكر هذا العلم هو الامام الشافعي، وذلك قبل أن يتأثر الفكر الاسلامي بالفلسفة اليونانية. (٣٦)

وهكذا كان ركون المسلم الى عقله فيما يشكل عليه مما لم يرد في شأنه نصوص هو الدعامة الاولى في الوقفة العقلية عند الاسلام، تلك الوقفة التي أقام عليها حضارته وثقافته على امتداد تاريخه خلال القرون التي شهدت قوته وقدرته على الابداع. (٣٧).

### ج ـ فكرة التوفيق أو الوسطية:

أما الفكرة الثانية وهي فكرة التوفيق أو الوسطية فنراها تسود تعاليم الاسلام، فالانسان جسم وروح، ولا يريد الاسلام أن يغلب أحدهما على الآخر بطريقة تخل

---

(٣٤) انظر تجديد التفكير الديني في الاسلام للدكتور محمد اقبال ترجمة عباس محمود ص ١٤٤، ١٦٨، ـ ١٧٠. القاهرة ١٩٦٨.

(٣٥) راجع جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبدالبر جـ ٢ ص ٦٩ (المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٨ هـ. ١٩٦٨م).

(٣٦) انظر تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية للشيخ مصطفى عبدالرازق ص ١٢٣ ـ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٦).

(٣٧) هموم المثقفين ص ٨١.

بالتوازن بينهما، وإنما يحرص على التوفيق بين مطالب الجسم ومطالب الروح في تناسق رائع. فالانسان له ان يتمتع بكل الخيرات التي أحلها الله له في هذه الحياة. وفي الوقت نفسه لا ينبغي له أن يهمل مطالب روحه. يقول القرآن: **«وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا»** (٣٨) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)(٣٩).

وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة من أصحابه يتحدثون عن عبادتهم ووجد أنهم يبالغون في العبادة الى حد إهمال مطالب الجسد إهمالا يكاد يكون تاما. فقد قال أحدهم إنه يقضي ليله دائما في الصلاة، وقال الآخر إنه يصوم بصفة مستمرة. وقال الثالث إنه يعتزل النساء ولا يتزوج أبدا. فلم يوافقهم النبي على ذلك وبين لهم انه أخشاهم لله وأتقاهم له ومع ذلك فهو يصوم ويفطر. ويصلي ويرقد، ويتزوج النساء وأن هذه هي سنته التي ينبغي السير على نهجها وأن من ابتعد عن هذا الخط الواضح كان بعيدا عن النبي وتعاليمه (٤٠).

وهذه الفكرة التي رأيناها تسود العلاقة بين الجسم والروح وهي فكرة التوفيق أو الوسطية نجد لها نظيرا في العلاقة بين العقل والدين. فالاسلام يحرص أشد الحرص على ألا يكون هناك نزاع أو تناقض بين العقل والدين، فكلاهما من مصدر واحد، قد خلقهما الله لهداية الانسان وإرشاده، وكلاهما أثر من آثار الكامل وهو الله، وآثار الكامل لا يناقض بعضها بعضا.

ولا يجوز من وجهة النظر الاسلامية وضع المسألة على أساس أن هناك خصومة بين الدين والعقل، وأن الانسان في موقف الاختيار بينهما. فهما عنصران جوهريان يتلازمان ولا يتناقضان، والانسان في حاجة إليهما معا. والدين الصحيح لا يمنع العقل البشري من التفلسف ومن حقه في الفهم والتفكير في ملكوت السموات والارض، وإنما يدفعه إلى ذلك دفعا. والاسلام يعتبر العقل مناط انسانية الانسان وجوهرها، فاذا عطل بالجهل والغفلة والعمى مسخت بشرية الانسان وهبط بذلك إلى مرتبة الحيوان.

وهكذا حسم الاسلام الخصومة المصطنعة بين الدين والعقل، وحرر الانسان من أزمة الصدام بين الدين والعلم. ولهذا فليس الاسلام في حاجة الى العلمانية ( Secularization ) لأن الأسباب التي أدت الى العلمانية في أوروبا لا مكان لها في

---

(٣٨) القصص ٧٧.

(٣٩) على الرغم من أن علماء الحديث قد تكلموا في سند هذا الحديث فان معناه صحيح. وقد رواه ابن قتيبة في غريب الحديث موقوفا عن عبدالله بن عمر، ورواه ابن المبارك في الزهد من طريق آخر موقوفا على عبدالله بن عمرو بن العاص، ورواه البيهقي مرفوعا عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٤٠) انظر نص هذا الحديث في صحيح البخاري مرويا عن أنس بن مالك (كتاب النكاح ١).

الاسلام، والزعم الشائع في تاريخ الفكر الانساني بأن هناك صراعا مستمرا وتناقضا أبديا بين الدين والعقل أو بين الدين والعلم لا ينطبق بحال من الأحوال على الدين الاسلامي، فكلاهما ـ الدين والعقل ـ يشكلان في الاسلام وحدة واحدة.

وقد كان لفكرة التوفيق وروح الاعتدال التي تنطوي عليها تعاليم الاسلام أثرها العظيم في سريان هذه الروح وانتشار هذه الفكرة في الحضارة الاسلامية بصفة عامة والثقافة الفلسفية بصفة خاصة. ولهذا رأينا الفلاسفة المسلمين يتجهون في فلسفتهم إلى تأكيد التوفيق بين الدين والفلسفة، وبيان توافق المصدرين، مصدر الدين ومصدر الفلسفة، في المعرفة والوصول الى الحقيقة. وقد اتخذ التوفيق لديهم صورا عديدة.

فقد ركز ابن مسكويه (ت ٤٢١ هـ ـ ١٠٣٠ م) على الغاية. ولهذا اهتم بالتوفيق بين غاية كل من الاخلاق ـ وهي فرع من فروع الفلسفة ـ والدين من حيث أن كلا منهما يهدف إلى سعادة الانسان (٤١). وكذلك اهتم ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ ـ ١٠٦٣ م) بالمعنى العملي لكل من الفلسفة والدين وذهب إلى أن غرضهما هو إصلاح النفس وأنه لا خلاف بين الفلسفة والشريعة في ذلك (٤٢).

أما الكندي (ت ٢٥٢ هـ ـ ٨٦٥ م) الذي عرف الفلسفة بأنها علم الاشياء بحقائقها فإنه يرى أنها لا يمكن أن تتناقض اطلاقا مع الدين، فغايتهما واحدة (٤٣).

ويرى الفارابي (ت ٣٣٩ هـ ـ ٩٥٠ م) أن موضوعات الدين وموضوعات الفلسفة واحدة (فكلاهما يعطي المبادىء القصوى للموجودات. فانهما يعطيان علم المبدأ الأول والسبب الأول للموجودات، ويعطيان الغاية القصوى التي لاجلها كون الانسان وهي السعادة القصوى). والفلسفة الصحيحة لا تتناقض مع الدين الصحيح، فان بدا هناك بعض النفور أو التناقض بين الطرفين فما ذلك إلا لأن النظام الفلسفي الذي تناقض مع الدين يعتبر نظاما واهيا لم تكتمل فيه البراهين المؤدية إلى اليقين، فالحقيقة واحدة لدى الفارابي ولكن الطريق إليها متعدد (٤٤).

ويرى ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ ـ ١٠٣٦ م) أنه لا يوجد في أقسام الحكمة (أي الفلسفة) ما يخالف الدين أو يتعارض معه. ويرجع ضلال أدعياء الفلسفة عن منهاج الشرع إلى قصور في تفكيرهم وعجز في افهامهم. وفي ذلك يقول: لقد «ظهر أنه ليس شيء منها (أي الفلسفة) ما يشتمل على ما يخالف الشرع، فان الذين يدعونها ثم يزيغون

---

(٤١) انظر فلسفة الأخلاق في الاسلام للدكتور محمد يوسف موسى ص ٩٦. القاهرة ١٩٦٣.

(٤٢) انظر تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٧٧.

(٤٣) انظر المزيد من التفصيل في ذلك للدكتور محمد عبدالهادي أبو ريده في كتابه: الكندي وفلسفته ص ٥٣ وما بعدها (دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٥٠).

(٤٤) انظر تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٧٨. وتأملات في الفكر الاسلامي ص ٣٠٤ وما بعدها.

عن منهاج الشرع إنما يضلون من تلقاء أنفسهم ومن عجزهم وتقصيرهم لا أن الصناعة نفسها توجبه، فإنها بريئة منهم» (٤٥).

وقد بين ابن طفيل (ت ٥٨١ هـ - ١١٨٥ م) في قصته الفلسفية المشهورة (حي بن يقظان) كيف يستطيع الانسان عن طريق عقله ودون معونة من خارج أن يتوصل إلى معرفة العالم العلوي ويهتدي إلى معرفة الله وخلود النفس، وأن ما يتوصل إليه من معارف لا يتناقض مع مقررات الدين (٤٦).

أما ابن رشد فقد تناول بالمقارنة العامة الخطوط الأساسية لكل من الدين والفلسفة رغم اختلاف منهجيهما، وبين في كتابه (فصل المقال) اتفاق الدين والفلسفة قائلا: إن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له، وقال أيضا ((إن الحكمة (أي الفلسفة) هي صاحبة الشريعة والاخت الرضيعة وهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجوهر والغريزة)) (٤٧).

أما الامام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ - ١١١١ م) فقد حرص على ضرورة الحفاظ على وحدة العقل والدين وإن كان لم يذكر الفلسفة في هذا الصدد باللفظ. فالانسان كما يقول - لا يستطيع أن يستغني عن الدين أو العقل. فالعقل كالاساس والدين كالبناء ولا يمكن تصور أحدهما بدون الآخر، فلا نفع في أساس بدون بناء، ولا ثبات لبناء بدون أساس. ولذلك يرى الغزالي أنهما متحدان اتحادا لا يمكن فصله، ومن يجرؤ على تعطيل أي منهما فهو - في رأي الغزالي - إما جاهل أو مغرور.

وإذا لم يكن هناك تناقض بين العقل والدين فانه ليس هناك أيضا - كما يقول - تناقض بين العلوم العقلية والعلوم الدينية، وعدم القدرة على الربط بينهما يرجع في رأيه إلى عمى في البصيرة يحجب الرؤية الصحيحة (٤٨).

فإذا انتقلنا من عصر تلك النخبة الشهيرة من فلاسفة المسلمين واتجهنا إلى العصر الحديث نجد الامام محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) يقول في علاقة الدين بالعقل في الاسلام: (لقد تآخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل بتصريح لا يقبل التأويل) وتقرر بين المسلمين كافة - إلا من لا ثقة بدينه ولا بعقله - أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العلم كالعلم بوجود الله وإرسال الرسل وإدراك فحوى الرسالة والتصديق بها، كما أجمعوا على ان الدين اذا أتى بشيء

---

(٤٥) نقلا عن تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٦١.
(٤٦) انظر تاريخ الفلسفة في الاسلام لديبور وترجمة الدكتور أبو ريده ص ٣٧٧ (القاهرة ١٩٥٧).
(٤٧) راجع فصل المقال لابن رشد ص ١٥، ٣٥/ ٣٦.
(٤٨) راجع معارج القدس للغزالي ص ٤٦ (المكتبة التجارية الكبرى - بدون تاريخ)، وإحياء علوم الدين جـ ٣ ص ١٦، ١٧. (طبع مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٣٩).

يعلو على الفهم فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل. فالعقل من أشد أعوان الدين الاسلامي. (٤٩).

ومن كل ذلك يتضح لنا أن وحدة الدين والعقل هي الخط الواضح للاسلام. والذي يدرس تاريخ العلوم الاسلامية وتطورها يرى أن روح التوفيق بصفة عامة كانت طابعا عاما للمسلمين في كل العلوم النظرية تقريبا. فنحن نجدها في علم العقيدة وفي الفقه والتشريع وفي التصوف وفي الفلسفة (٥٠) وكان الهدف الاكبر لفلاسفة العرب هو أن يقدموا للعالم نظرية كاملة عن وحدة الكون ترضي الدين والعقل معا، ولذلك سعوا إلى التوفيق بين الجانب الخلقي والروحي والجانب الفلسفي من العلم (٥١).

ويبرز بعض الباحثين المسلمين المعاصرين أهمية الدور الكبير للاسلام في تطور الفكر الانساني بصفة عامة. ويتمثل ذلك فيما قامت به الثقافة الاسلامية من دمج عظيم للعناصر الايجابية في حضارتين متجاورتين ومتنافرتين وهما حضارة الفرس وثقافتهم من جهة، وحضارة الروم وثقافتهم من جهة أخرى. فقد كانت الأولى ذات صبغة صوفية والثانية ذات صبغة عقلية. وبظهور الاسلام وفتوحاته انهدمت الفواصل بين هاتين الثقافتين، فأخرج الاسلام إلى العالم صيغة حضارية ثقافية اسلامية جديدة تسع الانسان أينما كان ، في اتجاه نحو عالمية الثقافة . ويرجع ذلك إلى أن مباديء العقيدة الاسلامية تشتمل على ما يهيء الانسان لاستخدام المنطق العقلي في شئون فكره ومعاشه، كما تشتمل كذلك على ما يعده للاتصال بالله مباشرة مما لا يحتاج إلى تدليلات المنطق العقلي. وهكذا التقى الشرق والغرب في بوتقة واحدة. فقد جمعت الصيغة الجديدة بين إدراك الحدس الصوفي وإدراك العقل الاستدلالي بحيث احتملت الحياة الثقافية في الجماعة الاسلامية أن يظهر فيها أعظم المتصوفة وأعظم مناطقة العقل في آن واحد (٥٢).

وبعد هذا العرض لفكرة التوفيق ننتقل الآن إلى الاشارة باختصار الى الفكرة الثالثة المتمثلة في نظرة الاسلام الى التاريخ.

### د ـ نظرة الاسلام الى التاريخ:

يشير القرآن في كثير من آياته إلى أن المعرفة الانسانية تعتمد على الحواس والعقل، يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: **«والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون**

---

(٤٩) رسالة التوحيد ص ٤٥، ٥٣.

(٥٠) انظر تعليق الدكتور محمد يوسف موسى في ص ١٩٧/١٩٨ من ترجمته لكتاب جوتييه: المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية. القاهرة ١٩٤٥.

(٥١) انظر روح الاسلام من تأليف سيد أمير علي وترجمة أمين محمود الشريف ص ٣١٥ (من سلسلة الألف كتاب. القاهرة ١٩٦١).

(٥٢) انظر هموم المثقفين ص ٨٢/٨٣.

**شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون»، ـ النحل ٧٨ ـ** وهذا يعني استبعاد كافة المعارف الأخرى التي تعتمد على الخرافات والأوهام أو الكهانة والسحر وما شاكل ذلك.

ونحن اذا تأملنا آيات القرآن فاننا نستطيع أن نستخرج منها أصول المعرفة بالحقائق الكبرى وهي: الله والكون والانسان والقيم، وكذلك أصول تنظيم الحياة العملية وتشكيل الاخلاق، ونجد فيه أيضا منهجا لتحصيل المعرفة الحسية التجريبية والمعرفة النظرية (٥٣).

وقد اهتم القرآن أيضا بالتاريخ بوصفه أحد مصادر المعرفة الانسانية. فالقرآن يتحدث كثيرا عن الأمم السابقة، ويدعو الى الاعتبار بتجارب البشر في ماضيهم وحاضرهم. ويقدم القرآن في هذا الصدد أصول منهج متكامل في التعامل مع التاريخ البشري، ينتقل بهذا التعامل من مجرد العرض والتجميع الى محاولة استخلاص القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية التاريخية (٥٤) تلك القوانين التي يعبر عنها القرآن بسنن الله.

ويهتم القرآن أيضا بالاشارة الى ضرورة التدقيق في رواية الحقائق. وفي ذلك يقول: **«يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا»** (٥٥) وبذلك وضع أمامنا أهم قاعدة من قواعد النقد التاريخي، وتتمثل في أن أخلاق الراوي تعد عاملا هاما في الحكم على روايته، وقد أفاد المسلمون إفادة عظيمة من هذه القاعدة وتطبيقها على رواة الأحاديث النبوية. وقد كان تطبيق هذا المنهج النقدي على رواة الاحاديث النبوية هو الذي تطورت عنه بالتدريج قواعد النقد التاريخي. (٥٦)

وقد أمد القرآن المؤرخين المسلمين بفكرتين رئيسيتين كان لهما أثرهما في توجيههم الى كتابة التاريخ كتابة علمية.

أما الفكرة الأولى فهي فكرة وحدة الأصل الانساني. فالقرآن يقرر أن الله قد خلق الناس جميعا من نفس واحدة، وأن من قتل نفسا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا. ويهدف القرآن من وراء هذه الفكرة أن تكون عاملا حيا في الحياة اليومية لكل مسلم. أما الفكرة الاخرى فتتمثل في تصور الوجود حركة مستمرة في الزمان. فالتاريخ حركة جمعية مستمرة وتطور حقيقي في الزمان لا مفر منه. وقد كان لهذه التوجيهات القرآنية أثرها العظيم في نظرة ابن خلدون الفلسفية للتاريخ. وكتاب ابن خلدون الشهير المسمى بالمقدمة يدين بالجانب الأكبر فيه الى ما استوحاه من

---

(٥٣) انظر بحث الدكتور محمد عبدالهادي أبو ريدة عن (مفهوم الوحي) في: (الملتقى الاسلامي المسيحي الثاني) ص ١٠٤. من منشورات الجامعة التونسية ١٩٨٠.

(٥٤) انظر التفسير الاسلامي للتاريخ للدكتور عماد الدين خليل ص ٨ ـ دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٥.

(٥٥) الحجرات ٦.

(٥٦) انظر تجديد التفكير الديني في الاسلام لاقبال ص ١٦٠ وما بعدها.

القرآن (٥٧). وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م) - كما هو معروف - يعد أول فيلسوف للتاريخ ورائدا عبقريا في مجال الفلسفة الاجتماعية. فقد كان أول من حاول أن يربط بين تطور الاجتماع الانساني وبين أسبابه القريبة، مع حسن الادراك لمسائل البحث وتقريرها مؤيدة بالادلة المقنعة. فهو ينظر في أحوال الجنس والهواء ووجوه الكسب ونحوها، ويعرضها مع بيان تأثيرها في التكوين الجسمي والعقلي في الفرد وفي المجتمع، وهو يرى أن للمدنية والعمران البشري قوانين ثابتة يسير عليها كل منهما في تطوره. (٥٨).

وهكذا رأينا مدى إسهام الاسلام في تطوير الفكر الفلسفي ودعمه وبناء الحضارة الانسانية من خلال الامثلة التي عرضناها وهي مبدأ الاجتهاد وفكرة التوفيق والنظرة الاسلامية للتاريخ. ولسنا في حاجة الى التأكيد على أن هذه الامثلة تمثل فقط بعض الافكار - وليس كل الافكار - التي أتى بها الاسلام في هذا الصدد. ويبقى علينا الآن توضيح الجانب الآخر من القضية وهو الجانب التاريخي لبيان مدى تأثير الاسلام في تطور الفكر الانساني خارج نطاق العالم الاسلامي.

**٢ - الجانب التاريخي:**

**أ - التأثير الاسلامي في فلسفة العصور الوسطى:**

ليس هناك من شك في أن التراث الحضاري الانساني أخذ وعطاء، وليست هناك أمة ذات حضارة عريقة الا وقد أعطت كما أخذت من هذا التراث. وليس من المعقول بالنسبة لأمة من الأمم تريد بناء نفسها أن تبدأ من نقطة الصفر وتعيد نفس التجارب التي مرت بها أمم سابقة، فهذا ضرب من العبث. والفكر لا يعترف بحدود مصطنعة بين الأمم، بل يخترق الحواجز ويفرض نفسه رغم كل العقبات.

وإذا كانت هذه المقولة صحيحة، ونعتقد أنها كذلك، فانه لمن الغريب حقا أن يحاول بعض العلماء الاوروبيين بيان أثر الفلسفة اليونانية على الفلسفة الاسلامية لدرجة وصلت بالبعض الى القول بأن هذه ليست الا الفلسفة اليونانية مكتوبة بحروف عربية، وفي الوقت نفسه يرفض هذا البعض - من منطلق عقدة التفوق - رؤية أي أثر للفكر الاسلامي على الفكر الأوروبي. ونود هنا - بصدد دور الاسلام في تطور الفكر الفلسفي - أن نلمس موضوع علاقة الفكر الاسلامي بالفكر الأوربي لمسا خفيفا، اذ أننا لن نستطيع في هذا البحث الموجز أن نغطي كل نقاط هذا الموضوع ونستوفي جميع جوانبه. وهذه العلاقة جديرة حقا بالبحث، فلم يكن المسلمون مجرد وسيلة آلية نقلت الى أوربا فلسفة اليونان. فهذا منطق غير علمي وافتئات على الحقيقة.

---

(٥٧) المرجع السابق ص ١٦٠ - ١٦٢.

(٥٨) انظر تاريخ الفلسفة في الاسلام لديبور ص ٤١٠.

لقد كان العلماء المسيحيون في أوروبا يعملون جاهدين منذ عام ١١٣٠ م على ترجمة الفلسفة العربية الى اللاتينية (٥٩). وقد التقى العالم المسيحي في أوربا بالعالم الاسلامي في نقطتين: في ايطاليا الجنوبية واسبانيا. وكانت توجد في اسبانيا حركة ترجمة نشيطة. فقد كان يوجد في مدينة طليطلة عندما فتحها المسيحيون مكتبة عربية حافلة في أحد المساجد. وكانت هذه المكتبة ذات شهرة عظيمة (٦٠). ويرتبط انتقال المادة الفلسفية العربية الى اللاتينية بصفة خاصة بريموند ( Raymund ) الذي كان رئيس أساقفة طليطلة من عام ١١٣٠ حتى عام ١١٥٠ وبعد ذلك رئيسا لأساقفة اسبانيا. فقد أسس مجمعا للمترجمين عهد برئاسته الى دومينيك جونديسالفي ( Dominic Gondisalvi ) وأسند اليه مهمة إعداد ترجمات لاتينية لأهم الكتب العربية في الفلسفة والعلوم. وكانت هذه الترجمات التي وصلت الى أيدي الغرب أساس الفلسفة المدرسية في أوربا (٦١).

وفي عام ١٢٢٠ أصبح فريدريك الثاني امبراطورا. وكان على اتصال وثيق بالمسلمين وإعجاب كبير بهم، فاتخذ اللباس الشرقي وكثيرا من العادات والتقاليد العربية. ولكن الأهم من هذا كان إعجابه الشديد بالفلاسفة العرب الذين كان بامكانه قراءة كتبهم الاصلية باللغة العربية التي كان يجيدها. وكانت علوم العرب تدرس بشغف في قصر فريدريك الثاني في بالرمو ( Palermo ) وبذلك جعلت في متناول اللاتينيين. وقد أهدى الامبراطور وابنه (مانفرد) الى جامعات بولونيا وباريس ترجمات لكتب فلسفية مترجمة عن العربية. وفي عام ١٢٢٤ أسس الامبراطور جامعة نابولي وجعل منها اكاديمية لادخال العلوم العربية الى العالم الغربي (٦٢).

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد هو أن القديس توماس الاكويني ( Thomas of Aquin ) قد تلقى علومه قبل دخوله سلك الرهبنة في هذه الجامعة. ولعل هذا كان السبب الذي حدا به إلى الاهتمام بتعاليم الفلاسفة العرب الى الحد الذي حمله على تقديرها تقديرا دقيقا جدا (٦٣) وقد كان لكل من ابن سينا وابن رشد بصفة خاصة حجية عظيمة في العصور الوسطى في أوربا (٦٤). وأصبح هناك تيار يعرف بالسينائية ( Avicennism ) وتيار آخر يعرف بالرشدية ( Averroism ).

وقد كانت الفلسفة المدرسية المسيحية ممثلة في ألبرت الكبير

---

(٥٩) Das Fischer Lexikon: Philosophie, p. 139, Frankfurt/M. 1963

(٦٠) تاريخ الفلسفة في الاسلام ٤١٧.

(٦١) راجع كتاب دي لاسي اوليري: الفكر العربي ومركزه في التاريخ ص ٢٣٣ - ٢٣٥. ترجمة اسماعيل البيطار بيروت ١٩٧٢.

(٦٢) المرجع السابق ٢٣٧ - ٢٣٨. وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٤١٧.

(٦٣) الفكر العربي ومركزه في التاريخ ص ٢٤٣.

(٦٤) J. Hirschberger, Kleine Philosophiegeschichte, p. 76, Freiburg 1961

( Albertus Magnus ) وتوماس متفقة في بعض آرائها مع ابن سينا، وبوجه خاص في نظرية المعرفة، كما أخذ البرت وتوماس بما رآه ابن سينا في مسألة الكليات ( Universalia ) وفي هذه النقطة كثيرا ما اقتبس توماس وألبرت من ابن سينا بوصفه صاحب حجية، كما أخذ توماس بما رآه ابن سينا من الفصل الحاد بين الماهية والوجود (٦٥) ونجد أيضا تأثير ابن سينا حيا وقويا في تعريف ألبرت للنفس وفي نظريته في النبوة. وقد اتخذ دانس سكوت ( Duns Scotus ) من فلسفة ابن سينا الى حد ما أساسا بنى عليه أقواله في ما وراء الطبيعة. وقد نبه بعض الباحثين الى وجود سوابق لدى ابن سينا للكوجيتو ( cogito ) الديكارتي (٦٦).

ويثبت كارا دي فو ( Carra de Vaux ) وجود سينائية لاتينية في أوربا في القرون الوسطى تتركز الناحية البارزة منها على العنصر العربي اكثر مما تتركز على العنصر الاوغسطيني ( Augustinism ) أو أي تلوين آخر من التفكير المسيحي في القرون الوسطى. (٦٧).

وقد كان روجر بيكون ( Roger Bacon ) من المعجبين بابن سينا وكان لا يخفي هذا الاعجاب (٦٨)، فقد قدر لهذا الاتجاه الآتي من ابن سينا ان ينتشر ويزدهر الى أقصى حد في فكر روجر بيكون الذي تأثر بابن سينا والفارابي الى درجة أن نظريته عن قداسة البابا تتفق تمام الاتفاق مع النظريات التي قال بها ابن سينا عن الخلافة (٦٩).

وكان لآراء الفارابي أثرها لدى ألبرت الكبير من نواح مختلفة (٧٠). وقد كان لكتاب إحصاء العلوم للفارابي أثره العظيم لدى المؤلفين في القرون الوسطى في أوربا. وقد أعطى الفارابي في هذا الكتاب فكرة عامة واضحة عن موضوع كل علم من العلوم المشهورة في زمانه وبين فائدته النظرية والعملية. وقد اقتبس العالم الاسباني جنديسالينوس ( Gundissalinus ) في القرن الثاني عشر معظم هذا الكتاب وضمنه كتابه المعروف بتقسيم الفلسفة. كما أفاد روجر بيكون من كتاب الفارابي كثيرا. وأفاد منه أيضا كثيرا جدا، وخاصة فيما يتعلق بالكلام على الموسيقى جيروم دي مورافي ( Jerome de Moravie ) في القرن الثالث عشر (٧١).

أما عن ابن رشد فانه كان يمثل منطلقا لتطور جديد في العالم الغربي، كما أن

---

(٦٥) Ernst Bloch, Avicenna und die Aristotelische Linke, p. 46, 51. Suhrkamp Verl ag 1963

(٦٦) انظر: تراث الاسلام لشاخت وبوزورث ترجمة د. حسين مؤنس واحسان العمد. القسم الثاني ص ٢٦٦، ٢٦٧: سلسلة عالم المعرفة بالكويت. نوفمبر ١٩٧٨.

(٦٧) سلفادور غومث نوغالس: الفلسفة الاسلامية وتأثيرها الحاسم في فكر الغرب. ص ٤٦. ترجمة عثمان الكعاك. الدار التونسية للنشر ١٩٧٧.

(٦٨) المرجع السابق ص ٥٣.

(٦٩) تراث الاسلام ص ٢٦٦.

(٧٠) د. ابراهيم مدكور: في الفلسفة الاسلامية جـ ١ ص ١١٤/ ١١٥. دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٦.

(٧١) انظر احصاء العلوم للفارابي تحقيق وتقديم د. عثمان أمين ص ٢٣ وما بعدها مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨.

المذهب التومائي لم يكن يمكن تصوره بدون ابن رشد (٧٢). وبحلول منتصف القرن الثالث عشر كانت جميع مؤلفات ابن رشد الفلسفية تقريبا قد ترجمت الى اللاتينية (٧٣) وقد أثبت رينان وجود رشدية لاتينية في أوروبا في كتابه عن ابن رشد والرشدية. وقد عاشت الرشدية في أوربا عدة قرون وأسهمت إسهاما عظيما في قضية الحرية الفكرية في القرون الوسطى في أوربا (٧٤).

وقد كان أول دليل على الذيوع لافكار ابن رشد يرتبط بوليم الافرني ( William of Auvergne ) الذي كان مطرانا لباريس. فقد اشاد بابن رشد باعتباره مدافعا حقيقيا عن الحقيقة، وكان يقتبس منه كثيرا، معتبرا اياه المعلم الاكثر صوابا (٧٥).

وقد تابع القديس توماس ابن رشد في شرحه للعلاقة بين الوحي والمعرفة الفلسفية، وقد بين أسين بلاثيوس ( Asin Palacios ) في بحث له على أساس مقارنة النصوص التي عند ابن رشد وتوماس أن الاتفاق بينهما لم يقتصر على وجهة النظر الاجمالية والأفكار والامثلة بل كان في الالفاظ احيانا، وبين بلاثيوس أن ذلك ليس اتفاقا عارضا ولا مبنيا على رجوع كل منهما الى أصل مشترك. وانما يرجع إلى أن القديس توماس عرف آراء ابن رشد وانتفع بها (٧٦).

وقد استمر أثر الرشدية في أوربا حتى القرن السابع عشر. وقد بشر هذا الاثر بالمذهب العقلي الذي ساد في عصر النهضة الأوربية (٧٧).

أما حجة الاسلام الغزالي فقد كان له تأثير بصورة مباشرة وأحيانا بصورة غير مباشرة على عالم الفكر الأوربي وحتى على عالم الفكر الحديث كما سنوضح ذلك بعد قليل. وقد امتد تأثير الغزالي عن طريق رايموند مارتين ( Raimund Martin ) الى توماس الاكويني أولا وفيما بعد على باسكال (٧٨) وفي كتاب (الطعنة النجلاء ضد المغاربة واليهود) الذي الفه رايموند مارتين كانت حججه مأخوذة في معظمها من كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي.

كما أن الاعتراضات التي أوردها القديس توماس على مذهب وحدة العقول وغيره هي نفس الاعتراضات التي كان قد أوردها علماء الكلام المسلمين من أهل السنة تقريبا. وجاءت الى توماس عن طريق الغزالي (٧٩).

---

(٧٢) Fischer Lexikon, P . 139

(٧٣) الفكر العربي ومركزه في التاريخ ص ٢٣٩ .

(٧٤) Hirschberger, P . 92

(٧٥) الفكر العربي ومركزه في التاريخ ٢٣٩، ٢٤٠ .

(٧٦) انظر تراث الاسلام ٢/ ٢٦٢ (هامش للمترجمين).

(٧٧) المرجع السابق ص ٢٧٣، والفكر العربي ومركزه في التاريخ ص ٥٤٦ .

(٧٨) Handwoerterbuch des Islam, P . 142, Leiden 1976

(٧٩) الفكر العربي ومركزه فى التاريخ ص ٢٤٢، ٢٤٤ .

ومما تقدم يتضح لنا بجلاء مدى تأثير الفلسفة الاسلامية في الفكر الاوربي. وقد اعتمدنا في عرضنا لهذه النقطة بالذات بصفة أساسية على مؤلفين أوربيين.

ونود في هذا الصدد أن نشير أيضا الى ما ذكره بهذا الخصوص عالم اسباني معاصر ركز في أبحاثه على علاقة الفلسفة الاسلامية بالفلسفة الاوربية في القرون الوسطى وهو سلفادور جومث نوجالس (S. Gomez Nogales) حيث يقول: أنا مقتنع كل الاقتناع بأن هناك تأثيرا مباشرا للفلسفة الاسلامية في أوروبا في القرون الوسطى. بل أقول اكثر من ذلك انه لولا هذا التأثير الذي كان للفلسفة الاسلامية على الفلسفة المسيحية ربما ما كانت الفلسفة المسيحية تقدر على اجتياز تلك الخطوة العملاقة التي نقدرها عند عباقرة الفلسفة المدرسية أمثال القديس توماس، أو على الاقل لم تكن لتخطو تلك الخطوة العملاقة بنفس السرعة التي تظللنا. ويقول نوجالس أيضا: ان الاستنتاج الذي توصل اليه من دراساته المقارنة بين الفلسفة الاسلامية والفلسفة المسيحية في القرون الوسطى هو وجود تيارات في التفكير الاوربي الوسيط تلتقي مع الفلسفة العربية المعاصرة لها في نقط مجسدة غاية التجسيد، وهنالك قضايا محررة ونقط مذهبية محددة بالذات كل التحديد في التفكير المسيحي في القرون الوسطى اذا تتبعناها في خط سيرها نجد أنها تصل بنا الى المؤلفين العرب.

وينتهي نوجالس الى القول الذي يصوغه بصيغة التأكيد القاطع: إن الفلسفة الاسلامية قد أثرت تأثيرا حاسما في تفكير الغرب في القرون الوسطى (٨٠).

ونظرا لأن دراسات نوجالس مقتصرة على القرون الوسطى فانه لم يتعرض بطبيعة الحال الى امتداد التأثير الاسلامي الى العصر الحديث. وهذا الموضوع لم يحظ حتى الآن الا بالقليل جدا من اهتمام الباحثين.

**ب ـ التأثير الاسلامي في فلسفة العصر الحديث:**

لقد اتضح لنا مما تقدم أن الفلسفة الاسلامية كان لها تأثيرها العظيم في الفلسفة الأوربية في القرون الوسطى، واذا كانت هذه الفلسفة قد اثرت بدورها في الفلسفة الأوربية الحديثة فاننا نستطيع أن نقول بوجود تأثير غير مباشر للفلسفة الاسلامية على الفلسفة الحديثة. ولكن هذا لا يعني عدم وجود تأثير مباشر أيضا. ونريد هنا أن نشير الى بعض جوانب هذا التأثير، وآمل أن يجد هذا الموضوع حقه من الاهتمام من جانب الباحثين المعنيين. وأول جوانب التأثير في العصر الحديث تتمثل في تأثير الغزالي على ديكارت.

فقد اعتمد الغزالي الشك المنهجي سبيلا للوصول الى اليقين الفلسفي. ورسم الغزالي خطوات هذا المنهج بالتفصيل بصفة أساسية في كتابه (المنقذ من الضلال)

---

(٨٠) الفلسفة الاسلامية وتأثيرها الحاسم في فكر الغرب ٦٢ ـ ٦٤.

فرفض التقليد والتبعية الفكرية رفضا قاطعا وأكد على ضرورة الاستقلال العقلي في البحث عن الحقيقة. وقام بنقد المعارف الانسانية والشك فيها ابتداء من المعارف الحسية الى المعارف العقلية. وناقش مسألة اليقين وقضية العقيدة ومشكلة التفرقة بين المعارف التي يحصل عليها المرء في اليقظة ومثيلتها في المنام. وأخيرا مشكلة الشك الميتافيزيقي المتمثلة في تصور شيطان مخادع أو كائن مضلل حتى توصل في النهاية الى اليقين الفلسفي الذي لا يتزعزع والذي عبر عنه بعودة الثقة في الضروريات العقلية. وتوصل بطريقة عقلية ـ لا صوفية كما يزعم البعض ـ الى معرفة الذات ومعرفة الله مما لا يسمح المجال الآن بعرض تفصيلاته.

وقد كان للشك المنهجي الذي وضع الغزالي جميع خطواته أثره البالغ فيما عرفه الفكر الفلسفي بعد ذلك لدى ديكارت الذي يعده المؤرخون أبا للفلسفة الحديثة كلها. فالخطوات التي سار عليها الغزالي في شكه المنهجي هي نفس الخطوات التي سار عليها ديكارت بعده بأكثر من خمسة قرون، واعتبر المنهج الديكارتي فتحا جديدا في عالم الفلسفة(٨١).

وقد أكد أحد الباحثين في عام ١٩٧٦ تأكيدا قاطعا اطلاعه على دليل مادي في مكتبة ديكارت يثبت تعرف ديكارت على فكر الغزالي وتأثره به عن طريق ترجمة لكتاب (المنقذ من الضلال) للغزالي. وقد ضمن هذا الباحث وهو المؤرخ التونسي المرحوم عثمان الكعاك هذه الأقوال في بحثه الذي قدمه الى ملتقى الفكر الاسلامي في الجزائر عام ١٩٧٦ (٨٢).

ويمكن الاشارة الى جوانب أخرى لدى الغزالي نجد لها صدى في فكر فلاسفة آخرين غير ديكارت من أقطاب الفلسفة الحديثة. ومن ذلك نقد الغزالي المسهب لمبدأ السببية ورد العلاقة بين السبب والمسبب الى العادة واعتبارها مجرد علاقة زمانية بين شيئين، هذا النقد وجدناه بعينه لدى دفيد هيوم ( David Hume )، بل ان هيوم لم يأت بجديد في هذا الصدد، وهذا ما لاحظه رينان حين قال: ان هيوم لم يقل في نقد مبدأ السببية أكثر مما قاله الغزالي (٨٣).

ويمكن عقد مقارنات أخرى كثيرة مثمرة بين فلاسفة إسلاميين آخرين وفلاسفة أوربيين في العصر الحديث. فقد تأثرا اسبينوزا مثلا بالأفكار الاسلامية إما بطريق مباشر أو عن طريق ابن ميمون (١١٣٥ ـ ١٢٠٤ م)، وهذا بدوره كان متأثرا الى حد بعيد بالفلسفة الاسلامية كما يتضح تمام الوضوح من كتابه (دلالة الحائرين)(٨٤). وإخوان

---

(٨١) انظر في ذلك كتابنا: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ـ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨١.
(٨٢) انظر تفصيل ذلك في مقدمة الطبعة الثانية من كتابنا: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت.
(٨٣) ارنست رينان: ابن رشد والرشدية. ترجمة عادل زعيتر ص ١١٢.. طبع عيسى الحلبي بالقاهرة ١٩٦٧.
(٨٤) في الفلسفة الاسلامية للدكتور مدكور جـ ١ ص ١١٧.

الصفا، تلك الجماعة التي تكونت في البصرة في القرن العاشر الميلادي وأخرجت للناس موسوعة ضخمة تتناول كل فرع من فروع المعرفة الانسانية كانوا روادا لفلاسفة عصر التنوير في فرنسا في القرن الثامن عشر وما اخرجوه للناس من موسوعات، وأفكار ابن خلدون في فلسفة التاريخ والفلسفة الاجتماعية أثمرت ثمارها في أورُوبا. ونكتفي الآن بهذه الأمثلة.

**كلمة ختامية:**

بعد ان بينا مكانة العقل في الاسلام ودور الاسلام في تطور الفكر الفلسفي نود في ختام هذا البحث أن نؤكد على الملاحظتين التاليتين:-

١ - عندما يراد الحديث عن الاسلام فانه يجب التفريق بوضوح بين أمرين أولهما: الاسلام كدين وكتعاليم أثبتت وجودها وفعاليتها وتأثيرها على مر القرون، وثانيهما الوضع الحضاري الراهن للمسلمين في عالم اليوم.

فمبادىء الاسلام في تطوير الفكر وحمايته لا تزال قائمة ومؤهلة للقيام بنفس الدور الذي قامت به في السابق وذلك لان الاسلام ليس دينا جامدا، ولكنه دين للحياة بشمولها، يدعو الى التغيير والتطوير المستمر للحياة، ولكنه في الوقت نفسه يقرر أن المبادىء مهما كانت سامية فإنها لا تستطيع أن تحقق نفسها الا عن طريق إرادة بشرية تعمل على تحقيقها. وهذا قانون قرآني يقول: (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (٨٥)

٢ - لم يعد هناك اليوم مجال لاستمرار الجدل العقيم بين الحضارات. فالأخطار التي تهدد البشرية اليوم ليست أخطارا تحيط بحضارة معينة وانما هي أخطار تحيط بالانسانية كلها. ولذلك يجب أن تعمل الحضارات المختلفة جاهدة على زيادة التفاهم فيما بينها. ونعتقد أنه قد آن الأوان لأن ينظر العلماء الأوربيون الى الاسلام وحضارته نظرة موضوعية وعادلة، دون التأثر بعقد قديمة أو جديدة. وبهذه الطريقة وحدها يمكن إجراء حوار حضاري مثمر بين الحضارتين الاسلامية والأوربية.

(٨٥) الرعد ١١.